

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: اشْتَهَيْتُ الْأَزَادَ، فَخَرَجْتُ أَنْتَهَزُ مَحَالَّهُ حَتَّى أَحِلَّنِي الْكَرَّخَ، فَإِذَا أَنَا بِسَوَادِيٍّ يَسُوقُ بِالْجَهْدِ حِمَارَهُ، مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتُ؟ وَأَيْنَ نَزَلْتُ؟ وَمَتَى وَافَيْتَ؟ وَهَلُمَّ إِلَى الْبَيْتِ، فَقَالَ السَّوَادِيُّ: لَسْتُ بِأَبِي زَيْدٍ، فَكَيْفَ حَالُ أَبِيكَ؟ أَشَابَ كَعَهْدِي، أَمْ شَابَ بَعْدِي؟ فَقَالَ: قَدْ نَبَتَ الرَّبِيعُ عَلَى دِمْنَتِهِ، وَأَرْجُو أَنْ يُصِيرَهُ اللَّهُ إِلَى جَنَّتِهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، فَقَبَضَ السَّوَادِيُّ عَلَى خَصْرِي بِجُمُعِهِ، فَقُلْتُ: هَلُمَّ إِلَى الْبَيْتِ نُصِيبْ غَدَاءً، أَوْ إِلَى السُّوقِ نَشْتَرِ شِوَاءً، ثُمَّ أَتَيْنَا شِوَاءً يَتَقَاطَرُ شِوَاؤُهُ عَرَقًا، فَقُلْتُ: افْرُزْ لِأَبِي زَيْدٍ مِنْ هَذَا الشِّوَاءِ، وَرُشَّ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ مَاءِ السُّمَّاقِ، فَأَنْخَى الشِّوَاءَ بِسَاطُورِهِ، وَقُلْتُ لِصَاحِبِ الْحُلُوى: زِنْ لِأَبِي زَيْدٍ مِنَ اللَّوزِينِجِ رِطْلَيْنِ فَهُوَ أَجْرِي فِي الْحُلُوقِ، قَالَ: فَوَزَنَهُ ثُمَّ قَعَدَ وَقَعَدْتُ، ثُمَّ قُلْتُ: يَا أَبَا زَيْدٍ مَا أَحْوجَنَا إِلَى مَاءٍ يُشْعِشِعُ بِالْتَّلْجِ، اجْلِسْ يَا أَبَا زَيْدٍ حَتَّى نَأْتِيكَ بِسَقَاءٍ، ثُمَّ خَرَجْتُ وَجَلَسْتُ بِحَبِثٍ أَرَاهُ وَلَا يَرَانِي أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ، فَلَمَّا أَبْطَأْتُ عَلَيْهِ قَامَ السَّوَادِيُّ إِلَى حِمَارِهِ، فَأَعْتَلَقَ الشِّوَاءَ بِإِزَارِهِ، وَقَالَ: أَيْنَ تَمَنْ مَا أَكَلْتُ؟ فَقَالَ: أَبُو زَيْدٍ: أَكَلْتُهُ ضَيْفًا، ثُمَّ قَالَ الشِّوَاءُ: هَاكَ، فَجَعَلَ السَّوَادِيُّ يَبْكِي وَيَحُلُّ عُقْدَهُ بِأَسْنَانِهِ وَيَقُولُ: كَمْ قُلْتُ لِدَاكَ الْفَرِيدِ، أَعْمِلْ لِرِزْقِكَ كُلَّ آلِهَ *** لَا تَفْعُدَنَّ بِكُلِّ حَالِهِ